جمعية المباحث النفسية

في اوربا واميركا

وعدنا في مقالنا السابق هنا ان نأتي على تفصيل عن الجمعية النفسية التي تألفت في اوربا واميركا للبحث عن معالم العالم الروحاني فنوفي اليوم بما وعدنا. واحسن اسلوب نتبعهُ في ايراد ما نريدهُ هو ان نأتي بهِ بلسان العلماء الاوربيين فنترجم ما كتبوهُ في مؤلفاتهم عنها

قال الاستاذ (وليم جيمس)العضو بالمجمع العلمي الفرنسي ومدرس علم النفس بجامعة هارفرد بالولايات المتحدة في كتابهِ (ارادة الاعتقاد) صحيفة ٣١٣ وما بعدها :

« ان جمعية المباحث النفسية التي يمتد عملها في انجلترة واميركا قد سمحت بان يلتقي العالمان العلمي والروحاني في مجال واحد . واني اعتبر ان هذه الجمعية مهما كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير في ترتيب المعارف الانسانية . فلهذا استحسن ان افضي الى القارىء بنتائج اعمالها بايجاز فاقول :

« اذا صدقنا الجرائد واوهام الصالونات خيل لنا ان الضعف العقلي وسرعة التصديق هما الرباط المعنوي الجامع بين اعضاء هذه الجمعية وان حب العجائب هو الاصل المحرك لها . ومع هذا فيكفي ان نلقي نظرة واحدة على اعضائها لدحض هذه التهمة . فان رئيس هذه الجمعية هو الاستاذ سدجوك Sidgwick المعروف بانهُ اشد الناس شكيمة في النقد واعصاهم قياداً في الشك بجميع البلاد الانجليزية ووكيلاها المستر ارثر بلفور والاستاذ ج . ب .لنجلي سكرتير المجمع السمثسوني. ويمكن التنويه من اعضائها العاملين بالاستاذ ريشيه الفزيولوجي الفرنسي الخطير . وتشمل قائمة اعضائها رجالاً كثيرين آخرين كفاءتهم العلمية اشهر من نار على علم . فاذا طلب اليّ ان اعين جريدة علمية تكون مصادر اغلاطها محصة بادق الاساليب فأني انوه بمحاضر جمعية المباحث النفسية. فان الفصول الفزيولوجية التي تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ في دقة النقد مبلغ دقة هذه المحاضر المذكورة . حتى ان صرامة الاساليب الكشافة التي طبقت منذ عدة

سنين على شهادات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختلاف الآراء في باطن الجمعية نفسها »

وقال البحاثة الفرنسي المهندس جبريل دولان في كتابه الوساطة صحيفة ٧ :

« قد تأسست في انجلترة منذ سنة ١٨٨٢ جمعية المباحث النفسية فجمعت بين اعضائها رجالاً من اعيان العلم يعتبرون في الطبقة الاولى مثل الطبيعي العظيم وليم كروكس والمؤرخ الطبيعي المشهور الفرد رسل ولس واوليفر لودج وهؤلاء الثلاثة من اعضاء الجمعية العلمية الملكية . وكان منهم اساتذة وبيكولوجيون (علماء بالنفس) وغيرهم فعملت مباحث مدققة في سنين طويلة اتخذت لها ادق التحوطات لتجنب اسباب الخطأ . ويجد الانسان في المجلدات الثلاثة والعشرين التي نشروها الى هذا اليوم مستندات عديدة خاصة بالتجارب والملاحظات المتقطفة والمحققة بعناية من اولئك الباحثين بحيث انهُ يمكن التأكيد اليوم بان الكشف والتلقين العقلي والتليبثي (التأثير الروحي عن بعد) اصبحت من الظواهر الطبيعية ككل الظواهر التي لا تحدث باستمرار . فان الشفق القطبي والروابع المغناطيسية وثوران البراكين وظهور المذنبات الخ ليست من الحوادث العادية ولا يمكن احداثها بالارادة ولكن ندرتها النسبية لا يمكن ان تتخذ دليلاً على عدم وجودها » انتهى

ونحن الآن يجمل بنا ان نأتي على اسماء اكثر اعضاء جمعية المباحث النفسية بدون الاطالة في وصف مزايا كل واحد منهم كما فعل الاستاذ وليم جيمس في كتابه المتقدم ذكرهُ فنقول :

منهم الاستاذ رسل ولس مكتشف ناموس النشوء والارتقاء هو وداروين في وقت واحد بدون ان يطلع احدهما على مباحث الآخر . والاستاذ هنري سدجوك المدرس بجامعة كمبردج . والاستاذ وليم كروكس الكيماوي الانجليزي الكبير مكتشف اشعاع المادة ومخترع مكشف كهربائي يعرف باسمهِ وآلات أخر للمباحث الكيماوية . والاستاذان الدكتور ميرس ورتشارد هودسون وكلاهما مدرسان في جامعة كمبردج لعلم النفس . والاستاذ اوسكار برونتج من اشهر علماء الانجليز . والاستاذ تشارلس اليوت نورتون مدرس بجامعة هارفرد بامريكا والاستاذ وليم جيمس مدرس علم النفس بجامعة هارفرد ايضاً والاستاذ

وليم د . ليوبوك مدرس علم النفس والفلسفة في جامعة بنسلفانيا بامريكا . والاستاذ جيمس هيزلوب مدرس العلوم العقلية بجامعة كولومبيا بامريكا . والاستاذ كاميل فلاماريون الفلكي الفرنسي الاشهر والاستاذ شارل ريشيه الفزيولوجي الكبير والعضو بمجمع العلماء والمدرس بجامعة الطب بباريز، ورجال آخرون بينهم عدد كبير من الاطباء المشهورين والحكماء المجربين نضرب عن ذكرهم خوف الاطالة . فاذا اراد القارىء الآن ان يعرف الاسلوب الذي جرى عليه هؤلاء القادة في مباحثهم والباعث الذي حداهم الى تجشم هذه المتاعب أتيناهُ بما يريد منقولاً عن اولئك الباحثين انفسهم

قال العلامة الدكتور ميرس Myers المدرس بجامعة كمبردج وهو الذي يصفهُ الاستاذ وليم جيمس بانهُ اكبر مجرب في انجلترا . قال في كتابهِ (الشخصية الانسانية) في صحيفة ١١ و٧ بعدها :

« حوالي سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المادي الذي اوغل حتى وصل الى سواحلنا وبلغ اوج سطوتهِ على العقول اجتمع ثلة من الاصحاب في كمبردج واجمعوا رأياً على ان هذه المسائل المريبة المتنازع فيها يريد المباحث الروحية تستحق التفاتاً وجهداً جدياً اكثر مما عولجت بهما الى ذلك الحين . وكنت أرى انا ان محاولة جديرة بهذا الاسم لم تعمل الى ذلك الوقت للبت فيما اذا كنا اهلاً او غير اهل للالمام بشيء يختص بالعالم غير المرئي (عالم ما وراء المادة) . وكنت متتبعاً بانهُ لو امكنت معرفة شيء من ذلك العالم على اسلوب يمكن العلم ان يقبلهُ ويحفظهُ فلا يكون ذلك لا بالتنقيب في الاساطير القديمة ولا بوسيلة التأمل فيما بعد الطبيعة ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة وبتطبيقنا على الظواهر التي تحدث فينا وفيما حولنا نفس اساليب المباحث المضبوطة المنزهة عن الاغراض والمتروّى فيها اي تلك الاساليب التي نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم المرئي المحسوس

« فالمباحث التي تجب علينا لا يمكن ان تقتصر على تحليل ساذج للاسانيد التاريخية او التي صدرت عن هذا الوحي او ذاك مما اوحي بهِ في الزمان الماضي بل يجب ان تؤسس قبل كل شيء — ككل بحث علمي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة — على تجارب يمكننا تكرارها اليوم مؤملين ان نزيد عليها غداً . فلا يمكن ان تكون الا مباحث مؤسسة على هذه القضية وهي انهُ « اذا كان يوجد

عالم روحاني وكان هذا العالم الروحاني موجوداً في اي عهد كان وكان قابلاً لان يظهر ويتكشف فيجب ان يكون كذلك في ايامنا هذه

« فمن هذه الوجهة وبالجري على هذه الاعتبارات العامة واجهت الجمعية التي انا عضو منها هذه المسئلة » انتهى

ثم اخذ هذا الاستاذ يسرد التجارب التي عملها وعملها غيره مما لا سبيل الى بسطه في هذه العجالة . ثم قال مخطئاً للذين يكذبون بهذه المشاهدات في صحيفة ٢٢١ :

« ما هي الادلة التي تحملني على الاعتقاد بان هذا ليس بصحيح ؟ هذا السؤال يجب ان يضعهُ كل انسان نصب عينيهِ اذا توصل الى التحقق بغير طريق التأمل العلمي من الجهل المطلق الذي هو عليهِ بماهية الوجود الحقيقية

« واني اعترف في كل حال بان جهلي هو بحيث ان معارفي فيما هو مرجح او غير مرجح في الوجود لم تظهر لي كافية لرفض مشاهدات تظهر بحق انها مثبتة وانها مع ذلك ليست مناقضة لمشاهدات واصول عامة اكثر منها تأسساً . ومهما كان مجال المشاهدات العلمية واسعاً فانهُ حتى باعتراف اوثق ممثلي العلم ليس الاَّ نظرة عجلى في العالم المجهول وغير المتناهي للنواميس الطبيعية » انتهى

وقال السير (اوليفر لودج) في كتابهِ (خلود الروح الانسانية) في النسخة الفرنسية الصادرة في سنة ١٩١٢ صحيفة (١) وما بعدها :

« قد ثبتت صحة حوادث غريبة حدثت في كل امة وفي جميع العصور ويمكن حذف جانب كبير من الحوادث الى مجال الاوهام والوساوس ولكن لا يمكن حذفها كلها الى ذلك المجال . وليس من المظنون في الحالة الحاضرة للعلوم الطبيعية اننا على علم بجميع اعمال الروح الانساني واننا قد اوصلناها الى درجة من البساطة بحيث ان كل ما يحدث في العالم العقلي والروحاني يمكن ان يتهمهُ النكافة بسهولة . ومع هذا فيوجد كثير من الناس يظهر انهم يعتقدون ذلك . على انهم يضطرون من حين الى آخر الى قبول مكتشفات جديدة مدهشة في علوم البيولوجيا (علم الحياة) والكيمياء وفي العلوم الطبيعية على وجه عام . ولكنهم يقبلون ضمنياً ان هذه المكتشفات العلمية هي وحدها من الوجود الاجزاء التي يمكن اكتشافها اكتشافاً اساسياً واما ما بقي فقد عرف احسن معرفة

« هذا اعلان ساذج وهو يبين استعداد من يملكون لقبول عقيدة ما ولكنها عقيدة لا تعتمد على العلم ولا يمكن حفظها الاَّ باغفال مقدار عظيم من الشهادات في الجهة المضادة

« تألفت منذ ٢٨ سنة جمعية خاصة في لوندرة الغرض منها بحث ما في هذه التأكيدات من الحقيقة (يريد التأكيدات بوجود عالم روحاني) وقد كان مؤسسوها من رجال الادب والعلماء وقد أتت منذ عدة سنوات بمقدار من هذه الحوادث الغريبة . وهي وان كانت غريبة الاَّ انهُ قد اعتبرها صحيحة افراد من اهل الحكم والذوق . وقد كان غرض هؤلاء العاملين اما ادماجها بطريقة مناسبة في العلم المرتب واما حذفها نهائيًا باعتبار انها غير قائمة الاَّ على سرعة التصديق والخديعة والتدليس » انتهى

وقال العلامة سدجوك رئيس جمعية المباحث النفسية في خطبة الرياسة ونحن نترجم ما نترجمهُ منها منقولاً عن كتاب الاستاذ لودج المتقدم ذكرهُ قال :

« من الامور الفاضحة ان يتنازع الى الآن في صحة هذه الحوادث (الحوادث الروحية) التي اعلن تصديقهُ بها عدد عظيم من الشهود الاختصاصيين واهتم غاية الاهتمام بحل مسألتها عدد عظيم آخر وان يحتفظ العالم العلمي حيالها مع كل هذا بالانكار الساذج

الى ان قال :

« كان الناس يظنون منذ ثلاثين سنة (هذه الخطبة قيلت في سنة ١٨٨٢) ان الاعتماد بالمسمرزم (التنويم المغناطيسي) والموائد المتحركة يفسَّر تفسيراً كافياً بقلة التهذيب العلمي عند اهلهِ . فلما اكد رجال من اهل العلم المشهورين الواحد بعد الآخر صحة تجاربهم الشخصية اظهر معارضوهم مهارة مضحكة في تصيد العلل للحط من مقامهم العلمي فقالوا ان هؤلاء الباحثين غواة وليسوا من اهل تلك المهنة او انهم اختصاصيون في بعض الفروع العلمية وليس لهم نظرات عامة ولا خبرة كافية او انهم مخترعون بسطاء يجهلون الاساليب الدقيقة للبحث العلمي او انهم ليسوا اعضاء في المجامع العلمية . فاذا كانوا من اعضاء تلك المجامع اظهر المعارضون اسفهم لهذا وعدوهُ من الحوادث المحزنة

« اننا في متابعتنا السير في هذه المباحث لا يجوز لنا ان ننتظر من شهادة واحدة مهما كانت كاملة نتائج قاطعة على العرف الانساني . فان الانكار العلمي بدأ في الغور من زمن بعيد وقد صارت له جذور قوية عديدة ولا قبل لنا باجتثاثها اذا قدّر لنا ذلك الا بانهاطر بمجموعة من الحوادث المحققة. فيجب علينا ان نعمل بلا فتور وان نركم البراهين على البراهين ونضيف التجارب الى التجارب وان لا نطيل الجدال مع المنكرين الاجانب عن مباحثنا على قيمة تجربة من التحقيق ولكن لنعتمد على عدد هذه التجارب للحصول على الاقناع المطلوب »

***

هذه بعض اقوال قالها اعضاء جمعية المباحث النفسية وقد جمعوا من تجاربهم ثلاثة وعشرين مجلداً ضخماً اصبحت الآن عمدة الباحثين في هذا الموضوع وقد اثرت في العالم العلمي تأثيراً لا حدّ له حتى اصبح يطلب رجال العلم من كل قبيل ادخال هذه المباحث الى العلوم الرسمية التي تدرس في الجامعات

قال العلامة كاميل فلامريون الفلكي المشهور في كتابه (القوى الطبيعية المجهولة) صحيفة ٦٠

« الكائن الانساني متمتع بخصائص لم نعرف الاّ قليلاً وهي خصائص قد اظهرتها الملاحظات التي عملت على الوسطاء والمستعدين لتوليد الحركات كما اظهرها كذلك التنويم المغناطيسي والتلباثي والابصار بدون الاعين والاخبار بالمغيبات

« هذه القوى النفسية المجهولة تستحق ان تدخل في دائرة التحليل العلمي . وهي الآن لا تزال في عصر بطليموس (يشبهها بالعلوم الفلكية) ولم تصادف للآن كبلر لها ونيوتنها ولكنها تستوجب العناية والبحث »

وقال الدكتور انكوس الطبيب بجامعة الطب الباريزية في كتابه (العلوم الخفية والسبرتزم) في طبعته الثالثة سنة ١٩١١ صحيفة ٧ :

« لقد انتشرت الجمعيات الروحية وتكثرت وشعر الناس بوجوب استزادتها واصبحنا نؤمل ان نظريات هذا المذهب الروحاني ستنال حرية المدينة في الفلسفة العصرية »

وقال العلامة الفرنسي الدكتور ج . ماكسويل في كتابه (الحوادث النفسية) في طبعته الخامسة الصادرة في سنة ١٩١٤ صحيفة ٣١٣ :

« انا لا آسف من اني عبرت عن شعوري نحو الحوادث التي لاحظتها بنفسي فاني واثق من انها ستدخل في يوم من الايام — ولعل ذلك اليوم قريب — الى النظام العلمي . نعم انها ستدخل فيه رغماً عن جميع العقبات التي يركمها في طريقها العناد والخوف من السخرية »

***

هذا غيض من فيض ذكرتهُ لخدمة الحقيقة ويرى القارئون ان جمعية بل جمعيات تتألف من امثال هؤلاء الفحول الذين جدوا على الدقة في البحث ومرنوا على التثبت والروية باساليبهم الصارمة وليس فيهم الاَّ من عرف مداخل الخطأ في الاحكام ومسارب الشطط الى المدركات ومستقر الانخداع من النفس ومواطن الاهواء من احناء الصدر . زد على ذلك ان كثيراً منهم من مدرسي علم النفس بالجامعات الكبرى وعلم النفس على الاسلوب الحديث يعتبر من العلوم الحسية فلا هو مستمد من مباحث افلاطون ولا من مقالات ارسطو وعلماؤهُ يعتبرون بحكم وظائفهم من اعلم الناس بدسيس الوساوس ودبيب الهواجس وضلال الحواس وتلبيس المشاعر . وكثير منهم من الطبيعيين والكيماويين والحيويين الذين لا يعترفون بغير سلطان الآلات المعدنية والتجارب الحسية فهم لا يأبهون بالبرهان العقلي ولا يخضعون للقياس المنطقي . لا يقرون لشيء بوجود الاَّ اذا ابصروهُ ولمسوهُ وقلبوهُ على كل وجه وادركتهُ آلاتهم الحديدية فوزنتهُ وقاستهُ وقدرتهُ. ثم هم مع ذلك في بيئة قد تخلصت من الاوهام وتملصت من سحر الاحلام خاصة بالنقدة المدققين والعرفة المميزين والكتبة الصارمين . قلنا ان جمعية بل جمعيات تتألف من مثل هؤلاء الاقطاب فيستمرون في البحث عشرات من السنين ويدونون تجاربهم في عشرات المجلدات ويعرضونها في الآفاق على النقاد والمجربين كل هذا يعتبر حادثاً جللاً ليس لهُ نظير في تاريخ المدركات الانسانية . وقد احدثت من التأثير الادبي ما لم يحدثهُ مذهب عامي ولا اسلوب فلسفي فاصبح لهُ مئات من المجلدات والمكتبات الخاصة والوف من الجمعيات . وقد روى الاستاذ رسل ولس في كتابهِ (عجائب العصر الحاضر) ان اتباعهُ يبلغون عشرين مليوناً . وكتب جان فينو مدير مجلة المجلات الفرنسية في مجلد سنة ١٨٩٥ وهو يعدد كلامهِ على الاسبرتزم يقول :

« لنضف الى هذا صفات اشياع هذا المذهب فهم اما علماء او اساتذة فنيون او اطباء او مهندسون »

نقول اضف الى هذا ان بقاء هذا المذهب قائماً اكثر من سبعين سنة يتداولهُ المجربون الخبيرون من كل قبيل ويحاول دحضهُ الناقدون من كل صوب ويتصداه الماديون ويبذلون وسعهم لاثبات التدليس فيهِ ثم ينتهي امرهم بتصديقهِ والقول بهِ ثم انتهاء امرهِ الى الشيوع بين اقطاب العلم الاوروبي الى هذا الحد وانقلاب النفسنة من مادية متطرفة الى روحية معتدلة — كل هذا اثر عوامل سلَّمها مدبر الكون على هذا الانسان ليخرجهُ من ظلمات المادة وينقذهُ من براثن الماديين ليطمئن على وجوده في هذه الحياة القصيرة الامد وفيما بعد هذه الحياة في عالم الجمال الاقدس وليضع اصول اخلاقهِ ومراميهِ على اساس متين من فلسفة عالية جديرة بمواهبهِ الكريمة يستطيع بها ان يتابع سبيلهُ في الترقي ثابت القدم مرفوع الرأس مطمئناً على اعز عزيز عليهِ وهي نفسهُ واثقاً بانهُ حي في وجود كلهُ حياة وجمال وجلال ونور (محمد فريد وجدي)

(المقتطف) ما اجمل ما ختمت بهِ هذه المقالة . اما الامور التي بنيت عليها فقد ذكرناها كلها او اكثرها في مجلدات المقتطف الماضية وذكرنا معها اوجه الضعف فيها وما ثبت من فساد بعضها ولو كان اصحابها من اكبر زعماء مناجاة الارواح كسدجوك وكروكس وستد ولدج. ومع اننا نتمنى من صميم الفؤاد ان تثبت صحة مناجاة الارواح ثبوتاً ينفي كل ريب لكن بحثنا المتواصل في هذا الموضوع منذ اكثر من اربعين سنة الى الآن اقنعنا ان الذين ينقطعون للعلوم الطبيعية والفلسفية يكونون في الغالب من ابسط الناس واحسنهم طوية واقلهم مقدرة على اكتشاف الخداع . فالدكتور ميرس والسر اوليفر لدج والاستاذ ريشه والاستاذ لمبروزو جلسوا غير مرة مع اشهر الوسطاء اوسابيا بلادينو واكدوا ان ما كانت تعمله امامهم لا يفسَّر الا بقوة روحية اي باستخدامها الارواح غير المنظورة . وجاءها وفد من قبل جمعية المباحث النفسية لكي يبحث في اعمالها فجلس معها مراراً ونشر تقريراً مسهباً عن اعمالها لشرنا خلاصتهُ في المقتطف واكدوا انها لا تستعمل الخداع بل تفعل ما تفعل بوسائل غير مادية او غير طبيعية فانتقدنا

تقريرهم هذا وابانوا وجوه الضعف فيهِ وامكان الخداع في اعمالها وبعد حين ذهبت هذه الخادعة الى اميركا سنة ١٩٠٩ فاكتشف الاستاذ منستربرج استاذ الفلسفة في جامعة كولمبيا خداعها بما لا يبقي مجالاً للريب . وكان غشها قد كُشف سنة ١٨٩٥ في كمبردج لما جلست مع الاستاذ سدجوك والمستر ميرس والدكتور هدجصن ولكن ثقة هؤلاء العلماء بها لم تفارقهم حينئذٍ لانهُ لم يظهر غشها الاَّ في بعض اعمالها . ومنذ سنة ١٨٥٠ الى الآن كشف غش اكثر من مئة وسيط من اشهر الوسطاء مثل بلاي وكوشستر وفوستر والاخوان دفنبرت ومستر فاي والدكتور سلايد وفلورنس كوك ومس شورس وفرمن ومس ود وهدصن وبوغه ومدام بلاتسكي واغلنتن

وقد قلنا غير مرة ان المحك الذي تثبت بهِ صحة المكتشفات والمزاعم هو العمل بها . فنقلُ الاشارات بالتلغراف الوفاً من الاميال من اغرب الامور التي يتعذر على الانسان تصديقها ولكنهُ لما رأى الاشارات تنقل فعلاً وتبنى على نقلها مصالح الناس صدَّقها وقال انها حقيقة لا وهم . ونقلُ الالفاظ المسموعة بالتلفون مئات من الاميال اغرب من نقل الاشارات بالتلغراف ولكن محك الاستعمال اثبت صحتهُ . ومن هذا القبيل نقل الاشارات بالتلغراف اللاسلكي والتصوير الشمسي واستخراج الالوان البديعة من قطران الفحم الاسود . واستقطار الارواح العطرية من فضلات المواد الفاسدة ونحو ذلك من مكتشفات القرن الماضي والسنين الاولى من هذا القرن

فاذا كانت مناجاة الارواح صحيحة اي اذا كان عقل الميت يؤثر فعلاً في الاحياء فيحادثهم ويخبرهم بامور يجهلونها فلا بدَّ من ان يصير لهذا الاكتشاف فائدة عملية يعتمد عليها في مصالح الناس كأن يخبر عقل القتيل عمن قتلهُ اذا كان مجهولاً او يصفهُ وصفاً كافياً للدلالة عليهِ وكأن يخبر من اخفى شيئاً قبل موتهِ عن المكان الذي اخفاهُ فيهِ او من شاهد حادثة وقعت في حياتهِ عما شاهد . وعدم ثبوت ذلك بالفعل لا ينفي بقاء النفس بعد الموت ولا يثبت زوال عقل الانسان من الوجود بعد موتهِ ولكن يجب ان يكون لاثبات ذلك ادلة أُخرى « وضرر الشيء ممن ينصرهُ لا بطريقهِ اكثر من ضررهِ ممن يطعن فيهِ بطريقهِ » كما قال الامام الغزالي في تهافت الفلاسفة